الحج و أبعاده
التربوية والإجتماعية

السيد على قاضى عسكر

شوّال المكَّرم، ١٤٣١ هـ = اكتبر ٢٠١٠م

تعريب و اعداد: ايوب حائرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، لاسيما بقية الله في الارضين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

﴿وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنّ الله غَنِىّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

الحج هو زيارة بيت الله الحرام[2]،الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً وقبلةً يتوجّه نحوها جميع المسلمين في عباداتهم[3]،والطريق المؤدّي إلى غفران الرحمن والدخول إلى جنّة الرضوان[4] .

ولقد كان الحج فريضة مفروضة في أولى الشرائع الإلهية، وأدّاه الملائكة وآدم وحوّاء وأنبياء الله جميعاً على أكمل وجه[5] وأدخل إبراهيم إمام الموحدين تعديلات عليه وجدّده[6] وأُمِرَ إسماعيل بالتمهيد لإقامة تلك الشعيرة المقدّسة[7]، وقد أدّى الرسول الأكرم ﷺ شعائر هذه الفريضة مرّات عديدة رغم كلّ الصعوبات التي واجهته[8] .

وتعتبر عبادة الحج من أهم العبادات الاسلامية ، وتذكر بعض النصوص أنَّها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الاهمية والافضلية ، وأنَّه أحد الجهادين ، فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد اللّه بن يحيى الكاهلي قال : «سمعت أبا عبد اللّه يقول ويذكر الحج فقال : قال رسول اللّهﷺ : «**هو أحد الجهادين ، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء ، أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلاّ الصلاة ، وفى الحج ههنا صلاة وليس فى الصلاة قبلكم حج**»[9]

كما أنَّ الحج عماد الدين وقوام وجوده ، فقد ورد في الحديث : «**لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة**»[10] .

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٦، سورة الحج: ٢٧.

(٣) **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لّلنّاسِ وَأَمْناً﴾، البقرة: ١٢٥. ﴿فَلَنُوَلّيَنّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، البقرة: ١٤٤.**

(٤)راجع فروع الكافي ١: ٢١٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه١: ١٥٩، علل الشرائع: ٣٩٩- ٤٠٦.

(٦) **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبّنَا تَقَبّلْ مِنّآ إِنّكَ أَنتَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، البقرة: ١٢٧.**

(٧) **﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهّرَا بَيْتِىَ لِلطّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرّكّعِ السّجُودِ﴾، البقرة: ١٢٥.**

(٨) في صحيح البخاري: «حجّ النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها، ولم يعرف عددها ولم يحجّ بعد الهجرة إلا حجّة الوداع». وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:« **حج رسول الله ﷺ عشرين حجّة مستقرة**».

(٩) وسائل الشيعة ٨ : ٧٧ ، ح٢ .

(١٠) وسائل الشيعة ٨: ١٤، ح ٥ .

ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج ، ويجب على ولي أمر المسلمين الزام المسلمين أن يقوموا بأداء هـذا الواجـب والانفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي[١١] .

نعم ذلكم هو الحج الذي يكافح ويسعى المسلم في سبيل أداء مناسكه، ويحمّل نفسـه مشـقة وتعبـاً ، ويعـاني مرارة الغربة والهجران، ويمسك عن جميع ميوله ولذّاته، ويمتنع عن كثير من عاداته وطبائعه، باذلاً القـدر الأكبـر من مصاريفه لذلك ، إنّه الحجّ الذي يُزيح عن كاهل المؤمن الكثير من المعاصـي الكبيـرة بأدائـه هـذه الفريضـة، يمحو عن قلبه كلّ صَدإ سبّبته سيئاته فيكون كمن ولدته أمّه [١٢]،فالحجّ تفسيرٌ[١٣] لآية ﴿**فَفِرّوَاْ إِلَي الله إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مّبِينٌ**﴾[١٤] و ﴿**قِيَاماً لّلنّاسِ**﴾[١٥] ورمز قوتهم وعزتهم[١٦].

وهذه العبادة بهذه الأوصاف، لا يمكن أن تكون مجرّد شعيرة ظاهرية بحتة،فلا شك أنّهاَ تمتلك روحاً و فلسفة عميقة ، ولها أسرارٌ وحكمٌ و أهداف وفوائد ، ألقت بظلالها على حياة الإنسان فـي البعـدين المـادّي والمعنـويّ، وبالنفوذ ببصيرة إلى أعماق تلك الأعمال الظاهرية، وبالوصول إلى باطن تلـك الأعمـال يمكننـا أن نفهّـم فلسـفة تشريعها وأبعادها المختلفة،ونشهد منافعها، المذكورة في قوله تعـالى: ﴿**وَأَذّن فِى النّاسِ بِالْحَجّ يَـأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَيَ كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَمِيقٍ × لّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ الله فِىَ أَيّامٍ مّعْلُومَاتٍ**﴾[١٧].

فالحديث عن الحج وما يتعلّق به من هذا المنطلق أصبح ضرورة يلِّح الواقع عليها، و يأتي هذا المقـال المـوجز تبياناً لما يتعلق بتلك الأبعاد المكنونة للحج و الأهداف المنشودة له والمنافع المشهودة منه، مستندين على كتاب الله العزيز، والسنة النبوية الشريفة، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام لفهم تلك الحقائق واستخراجها من مصادرها الأصيلة ،ومقتبسين من أفكار الإمام الخميني لتوضيح بعض معالمها ومفاهيمها، عسـى الله أن ينفـع بهـا ضـيوف الرحمن الوافدين من جميع بلاد الإسلام، وتنال رضى ربِّ الأنام.

هذا وسنركِّز في البحث على البعدين التربوي والإجتماعي، لأهمِّيتهما في واقعنا المعاصر:

القسم الأول :الجوانب التربوية فى الحج

---

(١١)راجع جواهر الكلام١٧: ٢١٤.

(١٢).(ثواب الأعمال: ٢٧، وسائل الشيعة ٨: ٨٣، الحديث ١٥).

(١٣) تفسير القمي: ٤٤٨، معافي الأخبار: ٢٢٢، بحار الأنوار٩٩: ٦.

(١٤) سورة الذاريات: ٥٠.

(١٥) سورة المائدة: ٩٧.

(١٦) «قال الصادق عليه السلام: **لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة**»، الكافي٤: ٢٧١، الحديث٢٤.

(١٧) سورة الحج: ٢٧– ٢٨.

إنَّ العقل وهو رسول الإنسان في باطنه ، وإن كان غير عاجز عن البحث في فلسفة الحج وأسراره العميقة، ، وأهدافه في مختلف أبعاده، ومنها التربوية ولكن نظراً لكون المعطيات والنتائج الحاصلة من ذلك هي عقلية بحتة، لا تخلو أن تكون تلك المعطيات ملوّثة بالإشكالات والهفوات و«**دين الله لا يصاب بالعقول**»[١٨]، ولذا فإننا اتّبعنا خطّ سيرٍ أكثر أماناً للحصول على فلسفة الحج وأسراره، وسنقوم في الغالب ببحث وتقصّي أحكام وأسرار الحج بالاعتماد على المصادر النقلية من الكتاب والسنة ،فإنّهما لم يتركانا سدىً في هذا المجال، حيث وضّحا لنا قسماً كبيراً من أسرار هذه العبادة وآثارها وأهدافها السامية في الحياة الإنسانية، و سنسعى إلى توضيح جزء من بحر لطائف وأسرار وأهداف ونتائج الحج الواسع مستفيدين من النّصوص التي بحوزتنا والمستخرجة من آيات الكتاب، ومتون الأحاديث ولنتعرّف على جانب من روح وعقل هذه العبادة الجماعية، في جوانبها التربوية ونبدأ بالجانب السلوک الروحاني والعرفاني لأهميته في تربية الإنسان ، ثمَّ نتطرق إلى الجانب الأخلاقي:

الف - السلوک الرّوحانی والعرفانی

حين نطالع سيرة إبراهيم عليه السلام وحركته كما بيّنها لنا القرآن الكريم، ونتابع كيفيّة جلبه لولده وزوجه إلى صحراء مكة، ومن ثم قضيّة ذبح إسماعيل ووصول الذبح السماوي، وبناء الكعبة المشرفة، وما تبعها من أعمال الحجّ، فإننا نحصل على دورة كاملة للمسيرة العبادية والسلوك الرّوحاني والمعنوي للإنسان خروجاً من مختنق الذات وعبادتها ووصولاً إلى التقرب إلى الله، ونبذ متعلّقات النّفس الماديّة، والالتحاق بمقام الربّ، والركون إلى دار الكبرياء، ومع أنه يبدو للوهلة الأولى أن الأحداث التي واجهت إبراهيم، وكذلك أعمال مناسك الحجّ تتألف ظاهرياً من أحداث منفصلة عن بعضها البعض، إلا أن مطالعة دقيقة في هذا المجال، تبيّن لنا حقيقة أن هذه المناسك إنما هي سلسلةٌ متصلة تلاحق هدفاً واحداً، يعبّر عنها العرفاء بمراحل السير والسلوك الرّوحانيّين، ومراتب الطلب والحضور ومراسيم الحبّ والعشق والإخلاص، وأخيراً خروج المرء من جلده والالتحاق ببحر وجود الخالق اللامحدود، كلّ ذلك يكون في باطن تلك المناسك، ويحصل الإنسان بذلك على نقاط ألطف كلّما دقّقَ في تلك الأمور[١٩].

---

(١٨) بحار الأنوار٣: ٣٠٣، الحديث٤١.

(١٩) تفسير الميزان١: ٣٠١.

ويشترط في مسيرة الإنسان نحو الرّب الخروج من دائرة العالم المادّي، وتبنّي طريقة السالكين إلى الله، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أردت الحجّ فجرد قلبك لله تعالي من كلّ شاغلٍ، ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة من الذنوب، ودَعِ الدنيا والراحة والخلق**»[٢٠].

و كما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام مخاطباً الشبلي: «**فحين نزلت الميقات أنويت أنک خلعتَ ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟... فحين تجردت عن مخيط ثيابک أنويت أنک تجرّدت من الرياء والنفاق والدخول فی الشبهات؟... فحين اغتسلت أنويت أنک اغتسلت من الخطايا والذنوب؟... فحين تنظّفت وأحرمت وعقدت الحجّ أنويت أنّک تنظّفت بنور التوبة الخالصة لله تعالي؟... فحين أحرمت أنويت أنّک حرّمت علي نفسک كلّ محرّم حرّمه الله عز وجل؟...** فحين **عقدت الحجّ أنويت أنّک قد حللت كلّ عقد لغير الله؟..**» وهكذا يسير الإمام عليه السلام مع الشبلي في بيان معاني وفلسفة مناسک الحج حتى يختم كلامه عليه السلام قائلاً له: « ..**ارجع فإنّک لم تحجّ**»[٢١].

وحينما يسأل الإمام زين العابدين عليه السلام عن تلك الحالة التي تعتريه، عند وقوفه في الميقات وكأنّه لا يستطيع أن يقول: لبّيك ، فيجيب بأنَّه عليه السلام:«**أخشي أن يقول لی ربّی: لا لبّيک ولا سعديکَ**»،فيقول سفيان بن عيينة، وهو الرّاوي لهذا الحديث:«فلمّا لبّى غُشِيَ عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجّه»[٢٢].

وتستمر روح العبودية هذه والسلوك الروحاني والتقرّب إلى الله تعالى، وترك الدنيا والانسلاخ عن عالم المادة، والالتحاق بالملكوت والاستغراق في الله، حتى انتهاء مراحل وأعمال الحجّ ومناسكه، وهذا السلوك الرّوحاني هوالذي يمثل جوهرة العبودية في كل العبادات، لكنّ تتجلى في الحج أكثر من غيره من العبادات ،ولذا فإنَّ الحج بهذا البعد المعنوي الواسع والجاذبية الرّوحانيّة العظيمة هو بمثابة دورة كاملة من البناء الذاتي لشخصية الإنسان المسلم وتهذيب نفسه من كل صنوف الدّنس، والتزيّن بمظاهر الأسماء والصفات الإلهية.

---

(٢٠) مصباح الشريعة، الباب ٢١١.

(٢١) مستدرك الوسائل٢: كتاب الحجّ، الباب١٧، الحديث٥.

(٢٢) راجع المحجّة البيضاء٢: ٢٠١.

ب- البعد الأخلاقى للحج

مناسك الحج ومراسمه ما هي إلاَّ دورة تدريبية تربوية للنفس والروح والبدن على السواء لصنع الإنسان الحرّ في فكره وإرادته غير منقادٍ لأعداء اللّه شياطين الانس والجنّ كبيرهم وصغيرهم، فالافعال العبادية والتروك والالتزامات، كلّ هذه التعابير الجسدية والنفسية وسيلة من وسائل انتظام الخُلق وسموه ككيان روحي فكري أخلاقي عبادي متميز.

إنَّ في الحج يتعوَّد المسلم الإلفة، والتعارف عن طريق السفر والاختلاط، فتنمو لديه الروح الاجتماعية، وتتهذب ملكاته الأخلاقية، عن طريق هذه الممارسة التربوية، والتفاعل البشري الرائع، الذي يشهده في الحج، بأرقى درجات الالتزام، والاستقامة السلوكية، من خلال المناسك والمراسم الشرعية ،كثيراً ما يتغير الانسان الى الأفضل، فيتعود الحاج على الصبر، واحتمال المشاق والصعاب، اضافة الى تعوده من خلال المعاشرة على حسن الخلق والصدق والحوار مع الحجاج الآخرين، ويتعود اللطف، والتواضع، واللين، وحسن المحادثة، والتعاطف، والكرم، والامتناع عن الكذب، والخصومة والغيبة والنميمة والتكبر، والعظمة،والجدال وغيرها حيث قال تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ** ...﴾[٢٣] وهذه النواهي في الحج تساهم في بناء شخصية المسلم، وتعمل على اعادة تنظيمها، وتصحيح مسيرتها في الحياة، وتزرع في النفس مكارم الاخلاق وتقودها الى استقامة السلوك، وحسن المعاشرة.

ويتطلب الحج من المكلفين به شد الرحال، وتغير الحال، وصحبة الرجال، وربما الأهل والعيال، وفي كل ذلك دروس في حسن الأفعال، فأهل الحكمة يقولون: إن الأخلاق، هي الحكمة العملية، التي تتجسد بالفعل غير الاعتيادي الذي يصدر من الإنسان بغاية ومن اجل هدف.

وانَّ كان الإنسان مستتراً قبل الحج في بيته لا يعلم من خلقه شيء، فقد برز في الحج إلى الساحة العملية فلا يمكنه أن يخفي عل الناس خليقته، وهو في سبيله إلى الله تعالى عليه إن يلجأ إلى فعل لا يخترق به قصده الحسن في الله مقصد حجه ومنتهى غايته ، إذ السفر ميزان الأخلاق؛ لما يظهر معه من طبائع الأفراد، التي لا يستطيع الإنسان بسهولة تجاوزها، لأنها توجه أفعاله بشكل عفوي، ذلك مقابل العمل الخلقي، باعتباره غير اعتيادي لأنه يحتاج إلى علة يستند إليها، فالعمل الاعتيادي تحركه الغريزة وتحركه الطبيعة وتحركه العادة، أما العمل الخلقي فتحركه الغاية المستندة إلى الحكمة والتي بدورها تستند إلى مرتكز عقلي.

---

(٢٣) البقرة : ١٩٧

البُعد المعنوى للحج عند الإمام الخمينى(قدّس سرّه)

لقد أكّد الامام (**قدّس سرّه**) مراراً وتكراراً أنّ سفر الحج هو سفر إلهي وليس سفراً عادياً مادياً مجرّداً، وأنّ المراتب المعنوية للحج هي رأس مال الحياة الخالدة وهي التي تقرّب الانسان من افق التوحيد والتنزيه، وأنّه لن يحصل عليها الحاج ما لم يطبق أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح وحسن، والبُعد المعنوي للحج هو الدافع والوازع للمسلم حيث يدفعه نحو الأبعاد الأخرى بحيث يراعي فيها الأخلاق والآداب الإجتماعية في علاقاته مع ضيوف الرحمن في موسم الحج،ومع عامة الناس بعد الموسم،و يقول الامام الخميني(**قدّس سرّه**) في ذلک : «**اعلموا جميعاً أنّ البعد السياسى والاجتماعى للحج لا يتحقق إلّابعد أن يتحقق البُعد المعنوى**»[٢٤].

ولهذا نجد الامام (**قدّس سرّه**) اهتم بهذا الجانب؛ لأنه الوسيلة الناجعة لارتقاء المسلم الأبعاد الأخرى، فقد جاء عنه قدس سره: «**فى المواقيت الإلهية والمقامات المقدسة، فى جوار بيت اللّه الملىء بالبركات، راعوا آداب الحضور فى الساحة المقدسة للعلىّ العظيم، وحرّروا قلوبكم أيها الحجاج الأعزاء من جميع الارتباطات المتعلقة بغير اللّه...**» [٢٥].

وقد وجه الامام الخميني(**قدّس سرّه**) خطابات عديدة في هذا المجال؛ ليبين أنّ على الحاج أن يطهّر نفسه ويخلي قلبه من كلّ شيء إلّاحب اللّه والطاعة والخضوع له، وأنه يجب عليه أن يربط روحه بمعبوده الواحد الأحد، فقد قال رضى الله عنه محدثاً الحجيج: «... **وأثناء الطواف فى حرم اللّه حيث يتجلي العشق الالهى، اخلوا قلوبكم من الآخرين، وطهروا أرواحكم من أى خوف لغير اللّه. وفى موازاة العشق الإلهى، تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة والطواغيت وعملائهم وأزلامهم،...** »[٢٦].

ويسترسل الامام (قدّس سرّه) في حديثه للحجيج مذكرهم بالاطمئنان القلبي الحاصل من الحالة العرفانية التي يعيشها العبد من معبوده ومحبوبه قائلًا:«**سيروا الي المشعر الحرام وعرفات وأنتم فى حالة إحساس وعرفان، وكونوا فى أى موقف مطمئنى القلب لوعد اللّه الحق بإقامة حكم المستضعفين، وبسكون وهدوء فكّروا بآيات اللّه الحق،...**»[٢٧] .

---

(٢٤)الحج في أحاديث الامام الخميني(قدّس سرّه)،ميقات الحج٤: ٤ .

(٢٥)الحج في أحاديث الامام الخميني(قدّس سرّه)،ميقات الحج٤: ٨ .

(٢٦)الحج في أحاديث الامام الخميني(قدّس سرّه)،ميقات الحج٤: ٨ .

(٢٧)الحج في أحاديث الامام الخميني(قدّس سرّه)،ميقات الحج٨: ٦ .

وأيضاً يقول الامام الخميني (قدّس سرّه) : «**أخرجوا من قلوبكم غير حب اللّه ونوّروها بأنوار التجليات الالهيـة، حتي تكون الأعمال والمناسک فـی سـيرها الـي اللّـه مليئـة بمضـمون الحـج الابراهيمـی وبعـده بـالحج المحمدی**،...» [٢٨].

القسم الثانی :البعد الإجتماعی للحج

إنّ الانعزال الاجتماعي يعدُّ من أخطر العوامل التي تؤدي إلى الاضطرابات العقلية التي تصيب الفرد المحروم من المشاركة في النشاطات الاجتماعية. وليس غريباً أن نقول: بأنّ المسلمين هم اقل الفئات البشرية انعزالًا، وأقلهم إصابةً بأمراض الاغتراب والعزلة،حيث انّ التأكيد في العبادات الجماعية كصلاة الجمعة والجماعة والعيد والحج يقوي الانتماء الإجتماعي و العلاقات والسلوک الجماعي ،ومن الطبيعي أنّ أهداف الانتماء الاجتماعي لن تتكامل ما لم يشعر الفرد بالأمان، والحج يعطي الفرد شعوراً بالأمان؛ لوقوعه في الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال ، ولأنّ المناسك يجب أن تؤدى في وضع شرعي أمني خاص ، ومن أجل ذلك، فقد أورد الإسلام ترتيبات أمنية ، في موسم الحج،حيث أوجب الأمن في البيت الحرام وكون الحرم آمناً يأمن من دخله، وحرَّم الاعتداء على الآخرين، أو حرَّم القتال في الأشهر الحرم وأوجب حفظ حرمة الشعائر وحرمة القاصدين لزيارة البيتالله الحرام،ومنع كلّ أساليب تعكير صفو الأمن خلال أداء المناسك، كالكذب والجدال والفسوق، وهذا كله يعكس أهمية الأمان في حياة الناس.

والحج أيضاً لقاء يكتسب منه المسلم ثقافة اجتماعية، وفوائد مسلكية، ومنافع مادية قد تنجر عنها بركة عظيمة، وفوائد جمّة لشعوب إسلامية بكاملها، إذ قد تعقد فيه المعاهدات التجارية، كتبادل البضائع ممّا ينشط الاقتصاد الإسلامي، ولم يكن هذا ليقع لولا تعارف المسلمين بسبب اجتماعهم المبارك لأداء هذه الفريضة المباركة. ذلك أنّ في تعارف الشعوب الإسلامية وتبادلها الآراء وطرحها لمشاكلها ما يقرب شقّة الخلاف إن كان هناك خلاف، وإذا انعدم الخلاف عمّ التفاهم ووحدت الغايات واتحدت المناهج.

والحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي جاء بها الإسلام، وترسيخ لقيم التواضع والمساواة فقد أراد دين اللّه أن لا تكون تعاليمه ومبادئه مجرّد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعبادته وشعائره ربطاً وثيقاً، حتى تكون سلوكاً تطبيقياًفي حياة المسلم وفي علاقته مع الآخرين.

---

(٢٨)الحج في أحاديث الامام الخميني(قدّس سرّه)،ميقات الحج٤: ٨ .

إنّ المسلم هناك وعندما يتجرّد عن الثوب الأنيق بل الثوب المخيط ويحرم عليه أن يمسّ الطيب.. ويرى نفسه في لباسٍ يساوي أقلّ الناس مالًا وجاهاً، هناك يتلقّى درساً في المساواة لا تبلغه أقوى العبارات وأعظم الدروس، فالزيّ الذي يرتديه الحاج يدخل في شكله البسيط ولونه الملائكي يعرض بوضوح توحيد فصائل المجتمع الإسلامي وتضامنه ووحدته الشاملة التي سنتعرض إليها بإختصار:

الحج ووحدة المسلمين

إنّ الوحدة هي الكفيلة لحفظ كيان الامّة وتماسكها، وترسيخ وجودها، وتثبيت أقدامها.. وبأنّ التوحّد والترابط، والتآلف والتماسك، هي مصدر القوّة والغلبة، ومنبع القدرة والمنعة.. وأنّ القوّة أمر ضروري لحفظ الشرائع والمبادئ.. والوحدة مصدر قوّة، وفي الحج نجد هذه القوة حيث أنّ الحجّ ليس مجرّد فريضة تهذّب النفس وتعصم السلوك بل هو أيضاً عنوان للُاخوّة الإنسانية العامة عبر التاريخ حول مسألتي العبودية لله، واجتناب الطاغوت، وذلك بشتى الأساليب التي تتناسق فيما بينها لتؤكد هذا المضمون الوحدوي العظيم في الحج،ومسلك وخطٍّ جميع الأنبياء، وإعطاء القوة للأمة.

وقدتابعت الثورة الإسلامية هذا الخط وأكّدت على لزوم إعادة الدور الحقيقي للشعائر الإسلامية، كصلاة الجمعة، والحج، باعتبارهما من أكبر المجالات المحققة للإحساس بضرورة الوحدة في هذه الأمة .

إنّ الحج فريضة إلهية لها أبعاد توحيدية كبيرة، وهي مؤتمر كبير يجمع المسلمين من كل الأقطار، متحدة نحو قبلة واحدة ، في طاعة إله واحد مستنين بسنة الرسول الأكرم ﷺ.

لقد تحول الحج عبر العصور المتلاحقة ومن خلال سعي الأعداء إلى فريضة عادية لا تحمل في عمقها الأبعاد السياسية التي أرادها الله تعالى ليستفيد منها المسلمون، وقد نجح العدو لسنين طويلة في أن ينسي الناس هذه الأبعاد العظيمة لهذه الواقعة المهمة والاستثنائية من عبادات المسلمين السياسية، ولقدأدرك الإمام الخميني قدس سره خطر هذه المسألة فحاول أن يعيد إلى الحج بعده السياسي لاسيما بإعلانه أن البراءة من قوى الشرك والكفر العالمية ركن من أركان الحج ولابد أن تؤدى ليكون الحج حجاً حقيقياً،إستناداً إلى قوله تعالى: ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَي النّاسِ يَوْمَ الْحَجّ الأَكْبَرِ أَنّ اللهَ بَرِىءٌ مّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...**﴾[٢٩]

وكان الإمام الخميني قدس سره يعتقد بأن البَراءَة في الآية المذكورة أعلاها لا تختصّ بمشركي الجزيرة بل إنَّها

---

٢٩)- التوبة:٣ .

تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة،ولذا امر ان تقام مراسم البراءَةَ في كل عام من موسم الحج ، وكان قدس سره من خلال بياناته السنوية التي كان يوجّهها الى الحجاج في موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيحاً لمسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص.

وبالتدريج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت سيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يردّدون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من الإستكبار العالمي خصوصاً امريكا وإسرائيل باعتبارهما من اهم مصاديق البارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين الى الاتحاد، واستمر **سماحة الإمام الخامنئى** دام ظله على هذا النهج في ندائه لحجاج بيت الله الحرام في موسم الحج من كل عام لإحياء الحج الإبراهيمي.

الخلاصة والنتيجة

كانت تلك نظرة موجزة عن البعد التربوي والإجتماعي للحج الذي فرضه الإسلام، وأدّاه الرسول صلى الله عليه وآله واستوت على أساسه سيرة أئمة الدّين،وحفظة الشريعة الإسلامية، إستناداً على الكتاب والسنة وعلى ضوء أفكار علماء المسلمين ومفكريهم لاسيَّما الإمام الخميني الراحل، و لاشك إذن في كون أي حجّ يفتقد هذه الروح وذلك العقل،وتلك الأبعاد وغيرها من الآثار والمعطيات ،مهما بلغت درجة سطوع ظاهره وتزينه بالمظاهر البرّاقة، لا يتعدى كونه ضجيجاً وحسب، ويكون حجَّاً للنزهة والسياحة والتجارة كما وصفه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله لإبن عباس في ذكر حوادث تقع في المستقبل لأناس آخر الزمان:«**يحجّ أغنياء أمتى للنزهة، ويحجّ أوساطها للتجارة، ويحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة**»[٣٠]،

وإثر إلقاء هذه النظرة الواقعية الخالية من العنصرية والتحيّز، في مسألة الحجّ وأبعاده وآثاره، يطرح هنا السؤال نفسه على كلّ علماء الدين ومفكريهم الحريصين على حفظ الإسلام ورقي المجتمع الإسلامي، وكل المهتمين بشؤون الإسلام ومصير المسلمين، وهو:ما هي نسبة الاستفادة التربويةوالإجتماعية التي تحصل عليها سيول والمتدفقة تجاه بيت الله الحرام، و المتعطشبن لمناسك الحج، والعاشقين لزيارة النبي الكريم صلى الله عليه وآله هذا السفر الذي يستغلّ عادة الكثير من الإمكانات المالية والمعنوية اللازمة لقطعه؟

---

(٣٠) مجمع النورين للمرندي : ٢٩٣،الميزان في تفسير القران ٥: ٤٣٤.

وما هو الدور الذي يلعبه علماء المسلمين ومفكريهم، والذين تقع على عاتقهم المسؤولية الايدوليوجية والفكرية، والإرشاد والتعليم والأمر بالمعروف ومراقبة المجتمعات الإسلامية كافّة؟ وما هي التدابير التي ينبغي أن تتخذها الدول وحكّام الأقطار الإسلامية في هذاالمجال؟

ولاشک أنّ الجواب هو لا يتعدّى أمراً واحداً وهو عودة علماء الإسلام إلى مكانتهم الطبيعية الأصلية في المجتمع،الذي أرادها الله ورسوله لهم، حيث يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً غيره ، وعود أمراء ورؤساء الدول الإسلامية إلى عهد خلافة رسول الله وعهد الخلافة الراشدة من بعده، حيث قال رسول الله:« **صنفان من أمتى إن صلحا أصلحت الأمة وإذا فسدا فسدت أمتى، قيل: يا رسول الله من هما؟ قال: الفقهاء، والأمراء**» (٣١).

ومن هنا تكون مسؤولية العلماء العاملين على إيصال الناس إلى ربهم، الّذين نصبوا أنفسهم في مقام الوصل بين العباد وخالقهم، أكبر وأعظم وآكد، إذ عليهم أن يهيأوا انفسهم في الدرجة الأولى للعمل الدؤوب على جعل مراسم الحج برنامجاً عبادياً، وميقاتاً إلهياً، يقرّبون به العباد من ربهم، ويهذّبون نفوسهم على الإخلاص والطاعة، والتخلق بالأخلاق الإيمانية العالية حتى يكتبون عند الله من المبلغين الرساليين، ثمَّ برنامجاً جامعاً تربوياً، إجتماعياً ،إقتصادياً ،سياسياً وثقافياً يدفعون المجتع الإسلامي به نحو الصواب والرشاد والإصلاح والرقي في جميع مجالات الحياة.

وبتحقق هدف كهذا، فإن الجموع الإسلامية الغافلة ستستيقظ من غفلتها، وتتذوق التجارب القيّمة الموجودة في تاريخها المجيد والمشرق، وباعتمادهم روح الأمل فإنَّهم سوف يسيرون خلف علمائهم،و أمرائهم ، ويتطهّر بذلك بيت الله ، وجميع الأراضي المقدسة الإسلامية من هيمنة الإستكبار، فإنَّ مسؤولية تطهّيره بالدرجة الأولى تقع اليوم على عاتق العلماء الربّانيين والمفكّرين الحريصين على الإسلام؛ حيث هم أمناء الرسل وورثة الأنبياء ، وبذلک يحييوا روح الحجّ الإسلامي، ويُلبسوا المجتمعات الإسلامية تلك الحياة الطيبة،و تتحقق بذلک الأمَّة الواحدة التي أرادها الله أن تكون خير الأمم،أخرجت للناس قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...**﴾(٣٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، لاسيما بقية الله في الارضين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

---

(٣١) سفينة البحار١: ٣٠. «وقال ﷺ: **ويل للأمراء، ويل للفقهاء**»، مسند أحمد بن حنبل٢: ٥٢.

(٣٢) سورة آل عمران: ١١٠.

فهرس المصادر

- القران الكريم .
- وسائل الشيعة / الحر العاملي .
- سفينة البحار/ المحدِّث القمي.
- علل الشَّرايع/ الشيخ الصدوق.
- أصول الكافي/ الشيخ الكليني.
- الميزان / محمد حسين الطباطبائي .
- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.
- تفسير القمي/ علي بن إبراهيم.
- ثواب الأعمال/ الشيخ الصدوق.
- المحجّة البيضاء / الفيض الكاشاني.
- من لايحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق .
- جواهر الكلام /محمد حسن النجفي .
- مستدرك الوسائل / المحدِّث النوري .
- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري .
- صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل .
- مسند أحمد بن حنبل،و- سنن ابن ماجة .
- مصباح الشريعة/ المنسوب للإمام الصادق.
- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره / مجلة الميقات.

الأقراص الكمبيوترية (Cd)

١- جامع الأحاديث: (٤٤٢ مجلد في ١٨٧ عنوان من ٩٠ مؤلف)، إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.

٣- مكتبة أهل البيت عليهم السلام: (٤٤٦٧ مجلد): إصدار مركز المعجم الفقهي للمرجع الديني آية الله السيد الگلبايگاني، الإصدارالأول.